المحاضرة الخامسة

الرواية العربية

الهوية والانفتاح على الآخر

الجزء الأول

ان طبيعة الجنس الروائي تجعله يتعامل مع الواقع و الإنسان و التجربة اكثر من أي جنس آخر و بالتالي فهو ليس مجرد رسالة من منشئ الى متلق .فهو يجمع مستويات خطابية مختلفة و متداخلة تجعله يحمل أكثر من رسالة فهو يفتح المجال أمام الكثير من القضايا الانسانية التي أصبحت أساسا في عملية التغيير المرتبطة بالفكر والوعي .

و كما نعلم فانّ هذا الجنس مرّ بتحولات عميقة في محاولة لتقديم رؤية أكثر نضجا لدور الرواية في مسايرة التطوّر الحاصل.

كتاب الرواية العربية يعيشون أحداثا مهمة تتباين فيها انفعالاتهم كل حسب ثقافته و مزاجه و معتقده ،و لهذا فقد خرجت هذه الرواية العربية الى آفاق و تطلعات حضارية متنوعة بحيث يكون النص مساحة للقاء الثقافات و تفاعلها و وسيلة للكشف عن الذات و تأصيلا للهوية و الكيان القومي ،و ليؤكّد الكتّاب أن حياة الأنا ليست مرهونة بموت الآخر لأن الذاتية لا تناقض بالضرورة الغيرية.

و لكن هل استطاع الكتّاب فكّ الحصار عن الشخصية العربية ،و هل أوجدوا سياقا فكريا ينبع من همومها و محيطها و لغتها ؟ و كيف يتعامل اليوم الكاتب العربي مع زمن التحوّلات الكبرى ؟ وكيف يحافظ على هويته ضمن هذه المعطيات ؟ ولكن قبل الاجابة عن هذه الاسئلة نحاول التعرف على مفهوم الهوية.

مفهوم الهوية :

بدأ سؤال الهوية يؤرّق الانسان العربي نتيجة احتكاكه بالآخر ،الذي سبقه حضاريا و بدأ يهدّد وجوده حين زحف الى الشرق مستعمرا.

و الفرد يبحث عن هويته في لحظة الأزمة أي حين يواجه المختلف حيث يرتدّ الى مكوّناته الأصلية التي تمنحه الاحساس بوجوده أي تميّزه واختلافه عن الآخر ،فيحس بضرورة الحفاظ على هذه المكوّنات مهما كانت التحدّيات ،اذ كلما احتدّت المواجهة مع الغير زاد المرء تمسكا بمكوّنات هويته و خصوصيته حتى تكاد تصبح (أناه) و هذه المكوّنات شيئا واحدا.

لكن ما معنى الهوية ؟ هل هي مفهوم ثابت و ضيق ،مغلق على ذاته أم مفهوم منفتح على الآخر بقدر انفتاحه على ذاته ،هل يمكن أن تتشكّل الهوية بمعزل عن الآخر ؟ كيف تتكوّن الخصوصية ؟ هل يهددها الانفتاح على الآخر أم يساعدها على الثبات؟

الملاحظ أن المثقف لا يمكن أن يرى الهوية تقوقعا على الذات ،كما أنه لا يمكن أن يرفض الانفتاح على الآخر ،من أجل الحفاظ على مكوّناتها ،لأن ذالك يعني الجمود و الضعف و التخلّف و الانحطاط ،مما يناقض مفهوم الثقافة الذي يقوم على التطوّر و الاعتراف بكل معرفة جديدة لذلك نجد أن أفضل السبل هو رفض قمع ارادة التغيير و عرقلة محاولة اختراق الحواجز العرقية التي تقيمها الأنا ،لأن الذات الخائفة من الانمحاء تزداد تقوقعا على نفسها .و على المفكّر أن يخرج الهوية عن اطارها الجامد و ينظر اليها بصفتها شرطا

يتحـوّل ويتغيّـر و بهـذا يكـون أكثـر وعيـا بالهويـة لأن الخصوصـية فـرادة تسـمح للإنسـان بـأن يكون عالميا.

فالعناصـر المكوّنـة للهويـة اشـبه بالموروثـات لكنهـا ليسـت فطريـة بـل أقـرب الـى المفهـوم الاجتمـاعي لأن الهويـة تتـأثر بالبنيـة الاجتماعيـة و الثقافيـة مثلمـا تتـأثر بتجاوبهـا مـع الآخـر سـواء أكانـت صـراعا أم لقـاء .لأن الآخـر المختلـف هـو الـذي يوضـح معـالم الهويـة ،و لكـن هـل تشـكّلت هويـة (الأنـا) فـي الخطـاب العربـي عبـر لقـاء الآخـر أم عبـر مواجهتـه ؟ أم الاثنـين معـا ؟ أليـس هـذا الآخـر هـو الغـرب المسـيطر ؟ تـرى هـل نسـتطيع أن ننـأى بأنفسـنا عنـه؟ ألا نعـيش أجواء حداثته ،فنقطف ثمارها ،على الرغم من توتر العلاقة معه ؟

ان هـذه الاشـكالية هـي أحـد أسـباب وجـود أزمتنـا الذاتيـة التـي لا حـل لهـا سـوى تجـاوز النظـرة التي ترى الحداثة الغربية من خلال الأنا و الآخر المعتدي .

فعلينـا أن نمـارس هويتنـا و اختلافنـا بشـكل نعيـد فيـه ترتيـب العلاقـة مـع ذواتنـا و مـع الآخـر أي اذا كنـا نـنعم بانجـازات الغـرب فيجـب أن نتعامـل معـه بـدون أن يعنـي ذلـك تقليـده أو الخضـوع لـه .فالهويـة هـي التـي تصـمد مـع الانسـان عبـر الـزمن اذ تلازمـه مكوّنـة لشخصـيته و محـدّده لمعالمـه بشـكل ثابـت ممـا يمـنح ابداعـه طابعـا خاصـا فـل ايكـون مسـخا للآخـرين ،أمـا الآخـر فهـو المختلف في الجنس ،أو الانتماء الديني ،أو الفكري ،أو العرقي.

و حـين يحـس المـرء بـأن ثمـة مـا يهـدّد وجـوده يسـرع الـى تأكيـد ذاتـه باحثـا عـن شـيء أصـيل كـامن فـي أعماقـه يـركن اليـه كـي يحـس بالثقـة و الأمـان و القـوة لمواجهـة الخطـر ،و بـذالك تتشـكل الهويـة فـي أدغـال الـذات حيـث تتجسّـد عبـر انتمـاءات و مكوّنـات تتعلـق بـالجنس و الطبقـة الاجتماعيـة و المـوروث الثقـافي الـذي يشـكل ركيـزة أساسـية فيهـا ممـا يجعـل الآخـر المعتـدي يهـتم بالقضـاء عليهـا أي علـى الثوابـت التـي تشـكل الـروح و الـوعي حينئـذ يسـعل القضاء على الخصوصية لذالك اعتنت بالشعوب المتحررة حديثا.

فالهويـة هـي مـا يصـمد مـن الانسـان عبـر الـزمن اذ تلازمـه لا مكوّنـة لشخصـيته و محـددة لمعالمـه بشـكل ثابـت ممـا يمـنح ابداعـه طابعـا خاصـا و لا يكـون نقـلا عـن الأخـرين ،لهـذا تعـدّ شـرطا ملازمـا للفـرد يـؤثر فـي الجماعـة و يمنحهـا سـمة خاصـة بهـا ،و لهـذا لا نسـتطيع فصـل الأنـا عـن نحـن لان الهويـة تحقـق شـعورا غريزيـا بالانتمـاء الـى الجماعـة و التمـاهي بهـا فتتبادل معها الاعتراف ،و لذالك لا يمكن اختزالها في تعريف محدد وبسيط.

الهدف العام :

انفتاح الرواية على الآخر والاحتفاظ بالهوية

الاهداف الخاصة :

- قطبيعة الجنس الروائي والهوية

- مفهوم الهوية

- اشكالية جدلية الأنا والآخر

انشطة التقويم :

اسئلة حول اجزاء المحاضرة

مقال يوضح المفهوم العام للمحاضرة

المراجع :

ـ الأنا و اللآخر و رهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية بشير بويجرة محمد

ـ مخاطر العولمة على الهوية الثقافية محمد عمارة

ـ نحن و الآخر صراع و حوار ناصر الدين الأسد